

لأن الشعب مصدر كل السلطات!

عدنان كنفاني



برقابنا ليس بسبب الجدار العازل فقط بل بالتبعية المالية وشؤون الأمن وتقنين الشرطة والسلاح ومفاتيح الماء والكهرباء والمجارير، وعدت علينا الأنفاس، وأوقعتنا في حصار جغرافي واقتصادي وزراعي وإنساني؛ ليس الآن فقط ولكن منذ بدأت مسيرة التنازلات، هذا الرئيس الذي أرجو أن يسلك طريق العقل ومصصلحة الشعب.

لقد قالت الفصائل الفلسطينية في الداخل وفي الشتات -وهؤلاء الذين لم يغبروا أحذيتهم بتراب فلسطين- كلمتها، ورفضت قرار العودة إلى الانتخابات لأسباب أسهب الجميع في شرحها، لكنني أقول ومن وجهة نظر شخصية بحتة، ونحن في أصقاع الشتات جزء من الشعب الفلسطيني، ولنا الحق في أن نكون في ذلك النسيج، لأننا جزء من مصدر السلطات، فهل يمكن أن نشارك في صنع القرار الفلسطيني؟ سواء في رفض أو قبول مبدأ الانتخابات المبكرة، وأن نكون شريحة من الناخبين؟

نحن الآن على شفا هاوية الله وحده يعلم إلى أين يمكن أن تصل بنا جميعاً بلا استثناء، وستترك وصمة سوداء على سلوكنا النضالي عبر أكثر من نصف قرن، وما زالت الفرصة والوقت متاحاً للتصحيح والتراجع عن الخطأ، وليس عيباً أن نرجع عن خطأ سيتسبب لنا بكارثة وطنية بل هو فضيلة وشجاعة وسلوك حكمة.

نقول يا سيادة الرئيس عباس، نحن الفلسطينيون جميعاً ننتظر منك وقفة شجاعة ومسؤولية بالإعلان عن تجميد إعلانك السابق، والعمل على فتح كل القنوات الممكنة لمواصلة الحوار والحوار والحوار للخروج من عنق الزجاجة، وتشكيل حكومة وحدة وطنية نخبوية تجمع كل أطراف الشعب الفلسطيني. المطلوب يا سيادة الرئيس أن تغلب لغة العقل، وأن نعمل جميعاً على إطفاء عود النقاب الذي يمكن أن يحرق الغاية كلها ومن فيها. ■

نجاح الرموز القدامى في الانتخابات المبكرة، ونجاح منهجها، وعودة فتح إلى الحكم وعلى خط الاستراتيجية السابقة نفسها، والا ما هب المجتمعون وقوفاً مصفقين مهللين في الصالة التي ألقى فيها الرئيس عباس كلمته من فرط الفرح والسعادة، والمؤشرات العالمية الداعمة بالروح والدم والمال تأتينا تبعاً تارة صارخة وتارة هادئة، والكل يدعم والكل يؤيد ويرقص على وقع الديمقراطية المفضلة على قد المصالح.

(إسرائيل) وأمريكا وبريطانيا أعلنوا على السنة قادتهم -قبل أن يبيع السيد عباس ريقه من جهد الخطاب- دعمهم الكامل لسلطته، ولتوجهه الديمقراطي بالعودة إلى الشعب مصدر السلطات..

وهل كان الشعب يوم انتخب حماس على هامش الكينونة؟

كان الرئيس جمال عبد الناصر «يرحمه الله» يقول: «يوم لا أسمع من أعدائي شتيمتي أبحث عن أمر سيئ خرج مني دون قصد أسعدهم فأعلنوا رضاهم عني..»

وإذا أتتك (مديحتي) من (غاصب)

فهي الشهادة لي بأني (فاشل)

فكيف بالأعداء العلنيين الذين هللوا ويهللون، ورحبوا ويرحبون، ودعموا ويدعمون سياسة وقرار الرئيس عباس الأخير؟

ثم ولعل هذا هو الأهم في كل ما أقول، هل تستطيع السلطة أن تطينا وعداً وعهداً بفك الحصار عن الشعب الفلسطيني فور نجاحها بالانتخابات؟ إذا كان الجواب نعم.. وهو بالتأكيد كذلك على طريقة «بالوعد يا كمون» كي تستقطب رضا الناس، لماذا لا تمارس هذه الثقة الآن وفي ظل حكومة حماس؟

السيد الرئيس عباس هو رئيس السلطة على الفئات الباقي من أرض فلسطين، وهو قادم إليها من أرض الشتات، وعلى أجنحة اتفاقيات أوصلو، ولكنه وعلى خلفية تلك الاتفاقيات لا يملك حرية القرار في شيء إلا اللهم أمر الخدمات في البلديات، وربما بعض أمور أخرى لا تقترب من السيادة أو السيد، إذ لا يمكن أن نتصور مدى الهوان والنتيجة التي أوصلنا إليها عراب أوصلو وأمير الاتفاقيات الكثيرة الأخرى التي كبلتنا داخلاً وخارجاً، وأمست

قبل أن نخوض في الإشكالية التي أوقعتنا فيها رؤية السيد الرئيس عباس للخروج من عنق الزجاجة عن طريق إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية مبكرة، والعودة إلى الشعب «مصدر السلطات»، علينا أن نشرح بداية لماذا نحن الفلسطينيون في الداخل وفي الشتات نرفض أو نقبل هذا الطرح؟

أول سبب لهذا الرفض أن أي انتخابات في ظل ظروف غير عادية لا يمكن أن تؤتي أكلها، ولا يمكن أن تعبر عن الرغبات الحقيقية للشعب، وعلى أبسط مثال أقول بأن القضاء الجنائي في أي مكان وفي أي دولة يمكن أن يرفض أو يتجاهل أو يشطب اعترافات متهم أدلى بها سواء بالعرف أو بممارسة تعذيب أو ضغوط عليه، فماذا نتوقع من شعب يعاني ما يعاني من حصار وتجويع وفقر وقتل يومي، ويبحث عن بارقة أمل للخلاص ولو كانت كالسراب الخادع؟ على خلفية أن الانتخابات إذا أنتجت إعادة رموز الفساد إلى كراسي الحكم ستقتطف الشهد والرفاه للشعب؟

رحم الله من قال «أعجب لا مرئى لا يجد قوتاً في بيته فلا يخرج شاهراً سيفه على الناس» فكيف بشعب يعاني من ضنك وجوع، وأفراده يعايشون في كل يوم معاناة فلذات أكبادهم وهم يتضورون جوعاً، ولا حول لهم ولا قوة إلا في ذلك الوعد السرايبي إذا أدلوا بأصواتهم لصالح السلطة؟

الأمر الآخر أننا نأخذ على بعض الدول العظمى سلوكها العياري، فالمباح هنا ممنوع هناك، والسهل هنا صعب هناك، والمبرر هنا مرفوض هناك.. الانتخابات المبكرة هنا مبررة ومقبولة ومرحباً بها بل ومدعومة، والانتخابات هناك مرفوضة وعبثية وتُحارب، والسلطة الآن بما خرج به السيد عباس من قرار بإجراء انتخابات مبكرة يسلك السلوك نفسه بل وبفضائحية أكثر. نقول إن الشعب مصدر كل السلطات. (فلماذا إذن نرفض الانتخابات النخبوية التي جاءت بحماس إلى الحكم؟ ألم يكن ذلك عن طريق مصدر السلطات؟ وهل يمكن أن يتغير شيء ولم يعض على الانتخابات أكثر من شهور؟

المجريات الآن على الأرض تقول بأن السلطة واثقة تماماً من إسقاط حكومة حماس، ومن